**غزة : 21- 9- 2012**

**الصحفية منال خميس مراسلة صحيفة القدس تحاور الدكتور : إبراهيم أبراش أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر في غزة ،ووزير الثقافة الأسبق**

**حول تأثير العلاقات المصرية مع حركة حماس على قطاع غزة بعد تسليم مرسي سياسيا – اقتصاديا – اجتماعيا – امنيا ؟**

**وما هي التوقعات ؟**

**الإجابة**

**أولا : بالنسبة للعلاقات بين مصر وغزة قبل فوز مرسي**

بشكل عام يمكن القول بأن العلاقة بين مصر وقطاع غزة علاقة مركبة لاعتبارات جغرافية وتاريخية وسياسية.جغرافيا لأن قطاع غزة ومصر متلاصقان جغرافيا والحدود البرية الوحيدة لقطاع غزة مع العالم ما عدا حدوده إسرائيل هي حدوده مع مصر ،كما أن تداخلا جغرافيا وبشريا بين الطرفين فهناك عائلات فلسطينية وأراضي لعائلات نصفها جنوب الحدود ونصفها الآخر شماله ،وبعد فرض إسرائيل الحصار على قطاع غزة عام 2006 بات هذا المنفذ البري – تحت الأرض أو فوقها – المصدر الوحيد لكسر الحصار . وتاريخيا كان قطاع غزة ما بين 1948 و 1967 كيانا قائما بذاته لا يخضع لأية سلطة فلسطينية بل خاضعا لحاكم عسكري مصري مع تواجد قوات دولية على حدوده مع إسرائيل،ولم ينتهي الحكم العسكري المصري والتواجد الدولي إلا عام 1967 عندما احتلت إسرائيل القطاع ومناطق أخرى. أما سياسيا فقد تأثر قطاع غزة باعتباره جزءا من فلسطين بالسياسة المصرية فعندما تكون السياسة المصرية معادية لإسرائيل وترفع رايات القومية والمواجهة كما كان الأمر أيام جمال عبد الناصر ،تتحسن العلاقة بين الطرفين ،وعندما تتقارب علاقة مصر مع إسرائيل كما جرى في عهدي السادات ومبارك تتوتر علاقتها مع الفلسطينيين ويدفع قطاع غزة ثمن توتر العلاقة بسبب جواره لمصر .

منذ فرض الحصار على قطاع غزة و الانقسام أو فصل غزة عن الضفة ،وحركة حماس وحكومتها تتهمان مصر مبارك بالمشاركة بحصار قطاع غزة من خلال إغلاق المعبر البري الوحيد او فتحه لأيام معدودة ولعدد محدود من الأفراد ،كما تتهم حماس مصر بالانحياز لجانب إسرائيل والسلطة الفلسطينية،وخلال سنوات الحصار كان مطلب كسر الحصار المطلب الرئيس لحماس من الحكومة المصرية ،وخلال هذه السنوات لم تعترف مصر بحكومة حماس في غزة ولم يلتقي أي مسئول سياسي رفيع المستوى بأي من قيادات حماس أو عناصر حكومتها ،وكانت العلاقة فقط مع المخابرات . لهده الأسباب وقفت حركة حماس مؤيدة بشدة للثورة المصرية وخصوصا لجماعة الإخوان المسلمين المصرية.

**ثانيا :فوز مرسي وتأثيره على العلاقة بين الطرفين**

بعد فوز الدكتور محمد مرسي في الانتخابات الرئاسية المصرية عمت فرحة عارمة عند أنصار حركة حماس وخصوصا في غزة،حيث إطلاق النار وتقديم الحلوى والخروج إلى الشارع ورفع صور مرسي وشعارات الإخوان المسلمين.نتفهم فرحة الفلسطينيين بنجاح تجربة ديمقراطية ونهاية رئيس أساء وأذل الفلسطينيين في المعابر والمطارات وتآمر على العرب في العراق وغيرها،وطبيعي أن يفرح الفلسطينيون لفرحة الشعب المصري،بل نتفهم أيضا درجة من المراهنة على كل حالة عربية مستجدة لأن حال الفلسطينيين بات كالغريق الذي يتشبث بقشة،ولكن الخطأ أن حركة حماس رفعت سقف التوقعات وراهنة كثيرا على أن فوز مرسي سيغير جذريا العلاقة بين قطاع غزة ومصر وبين مصر والسلطة والرئيس أبو مازن .

كانت مراهنة حركة حماس على المتغيرات التي تحدث في مصر مبنية على أن نظام حسني مبارك كان معاديا لحماس ولكل الجماعات الإسلامية ،والوضع سيتغير بعد مجيء مرسي ألإخواني لان حركة حماس تعتبر نفسها امتدادا لجماعة الإخوان المسلمين التي ينتمي لها مرسي ،إلا أن مراهنة حركة حماس اصطدمت بالواقع ،أو أن رؤية حماس كانت لا تخلو من سذاجة ،لأنها لم تميز بين مصر الدولة بمصالحها القومية وعلاقاتها الدولية من جانب ومصر (الإخوانية ) من جانب آخر .فقد اعتقدت حركة حماس أن وصول رئيس من الإخوان معناه أن جماعة الإخوان المسلمين ستطيق كل عهودها وشعاراتها التي كانت ترفعها وهي في المعارضة ،وفي ظني هذه سذاجة سياسية من حركة حماس وخصوصا في الداخل ،لأن خطاب الأحزاب وهي في المعارضة يختلف دوما عن سلوكياتها وهي في السلطة ،كما أن مصر الدولة ستكون لها الأولوية على أي حسابات أيديولوجية أو حزبية ،حيث متطلبات واستحقاقات حكم دولة مرتبطة باتفاقات دولية وبمصالح اقتصادية ومسئولة عن حوالي 90 مليون نسمة ،سيكون له الأولوية على الدخول في علاقات مع قطاع غزة يمكنها أن تثير عليها واشنطن وإسرائيل وتخل بالتزامات دولية على مصر .

كان الدكتور محمد مرسي واضحا في خطابه الأول بعد فوزه حيث لم يأتي في خطابه على ذكر لفلسطين أو غزة وحصارها أو إسرائيل مع انه أشار بطريقة غير مباشرة لإسرائيل عندما قال بأنه سيلتزم بالاتفاقات الدولية التي وقعتها مصر مع الدول الأخرى ويقصد هنا تحديدا اتفاقية كامب ديفيد.والرئيس مرسي في ذلك لا يتجاهل قضية فلسطين أو أن مواقفه ستكون مثل مواقف سابقه ولكنه يُدرك عِظَم التحديات الداخلية التي سيواجهها في سنواته الأولى ،وان مصلحة مصر في هذه المرحلة ستكون مُسَبَقة على أي اعتبارات أخرى.

 لأن العلاقات الإستراتيجية للدول لا تتغير مباشرة بوصول رئيس جديد ينتمي لأيديولوجيا مغايرة لسابقه،وهناك مصالح قومية ثابتة للدولة لا يستطيع الرئيس الجديد تغييرها بسهولة،فإن نهج التغيير في السياسة الخارجية لمصر في عهد الرئيس الجديد لن تمس الجوانب الإستراتيجية تجاه مشكلة الشرق الأوسط ،و تأثير فوز مرسي سيكون على مستويات دون الإستراتيجية.وفي هذا السياق،ومع الأخذ بعين الاعتبار أن القضية الفلسطينية لن تكون على رأس سلم اهتمامات النظام المصري الجديد ،أيضا أن حل مشكلة الفلسطينيين ومعاناتهم أكبر من قدرة مصر لوحدها على حلها ،نتوقع التداعيات التالية لفوز مرسي :-

**أولا : على المستوى السياسي**

1. سيتم الارتقاء بعلاقة مصر مع حماس لدرجة أقوى من السابق وقد يصبح لحماس مكتب تمثيل في القاهرة أو حتى نقل مقرها الرسمي إلى القاهرة،وهذا الأمر سيثير غضب السلطة الفلسطينية لأنه سيشكك بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير وسيضفي شرعية على حكومة إسماعيل هنية التي يعتبرها الرئيس أبو مازن غير شرعية ،وهذا ما حدث بالفعل حيث احتجت منظمة التحرير على الزيارات المتكررة للسيد إسماعيل هنية لمصر واستقباله استقبالا رسميا .
2. كل مسعى لتطوير علاقة مصر مع حركة حماس ورفع قيود تنقل الأشخاص والبضائع عبر معبر رفح البري، سيدفع تيارا نافذا من حركة حماس في غزة نحو مزيد من التشدد في ملف المصالحة،وبالتالي فإن ما نخشاه أن ينجح مسعى الرئيس مرسي بإنهاء الحصار البري على غزة ويتعثر مسعى المصالحة ويتكرس الانقسام.
3. خطوات التقارب المصري نحو حركة حماس سيشجع دولا أخرى على الاقتراب من حركة حماس وعلى التعامل معها حكومة شرعية في قطاع غزة ،وقد يؤثر موقف مصر الرسمي على موقف جامعة الدول العربية بهذا الشأن .
4. لن تستطيع مصر تجاهل ملف المصالحة الفلسطينية حتى لا تصادر أطراف أخرى ملف المصالحة في إطار توظيف سياسي لمصالحها،ولكن مصر تعرف أن إنجاح ملف المصالحة أكبر من قدرتها لوحدها ،فالمصالحة بمعنى إعادة توحيد غزة والضفة في إطار سلطة وحكومة واحدة يحتاج لنوع من الموافقة الإسرائيلية ومن الرباعية وخصوصا واشنطن وأطراف عربية وإقليمية أخرى ،وفوق ذلك يحتاج لمصالحة داخل حركة حماس نفسها حيث أن حماس الداخل غير معنية بمصالحة تفقدها سيطرتها المالية والسياسية على قطاع غزة .

**ثانيا : على المستوى الأمني**

1. سيصبح التصعيد أو التهدئة على حدود القطاع مع إسرائيل خاضعا لاعتبارات تتعلق بتطور العلاقة بين مصر الجديدة وإسرائيل ،وربما يلجأ الطرفان لاستعمال قطاع غزة كميدان اختبار لجس نوايا كل طرف أو للضغط عليه.
2. قد تتطور الأمور إلى الأسوأ أمنيا وعسكريا في شمال سيناء لاعتبارات تتعلق بصراعات مراكز القوى داخل مصر من جانب وبمخططات إسرائيلية من جانب آخر،وهو الأمر الذي قد يدفع إسرائيل لتوظيف الحالة الأمنية في سيناء لتبرير تصعيدها عسكريا في قطاع غزة وربما في سيناء ،والسيناريو الأسوأ في هذا السياق أن تقوم إسرائيل في حالة وجود مؤشرات على تحول في سياسة مصر تجاه إسرائيل،بحرب استباقية محدودة في سيناء تخلط من خلالها الأوراق وتفرض أمرا واقعا يجبر مصر على ربط قطاع غزة بشمال سيناء ضمن صيغة ما،وقد تحدثت مراكز دراسات إستراتيجية إسرائيلية عن مثل هكذا مخطط.
3. ستضغط مصر على حركة حماس والفصائل الأخرى للالتزام بالتهدئة مع إسرائيل وهذا الأمر قد يخلق خلافات بين حركة حماس وبعض الفصائل التي ترفض التهدئة بدون ثمن ،كما سترفض هذه التهدئة جماعات في غزة مرتبطة بمثيلاتها في سيناء تتعرض لهجمات من الجيش المصري.
4. من المتوقع أن تشكل الحكومة المصرية وحركة حماس لجنة أمنية مشتركة دائمة وقد تفتح مصر مكتبا امنيا في قطاع غزة .

**ثالثا : على المستوى الاقتصادي**

1. سيحدث تحسن مؤقت على المستوى الاقتصادي في قطاع غزة نتيجة تسهيل التنقل عبر المعبر وسهولة دخول المساعدات والاستثمارات في إطار خطة إعمار غزة،ولكن نخشى بعد ربط اقتصاد غزة بمصر بشكل نهائي حدوث تراجع في اقتصاد غزة وتراجع في مستوى المعيشة.
2. قد تفكر مصر بالاستجابة لطلب حكومة غزة بعمل منطقة حرة على الحدود بين الطرفين لتحل محل الأنفاق التي يتم تدميرها من طرف الجيش المصري،إلا أن هذه الخطوة تحتاج لدراسة معمقة لأن لها أبعاد سياسية كضرورة أخذ موافقة السلطة الفلسطينية باعتبار قطاع غزة ما زال جزءا منها ،أيضا تحتاج لإعادة النظر ببروتوكول باريس الاقتصادي الذي يربط اقتصاد قطاع غزة والمعابر بإسرائيل.أيضا هناك بعد أمني في الموضوع ،فهل ستضمن حركة حماس ومصر ألا تقوم إسرائيل بتدمير هذه المنطقة الحرة إذا تم خرق التهدئة أو قام طرف فلسطيني بعملية فدائية ضد إسرائيل ؟.
3. من الضروري التفكير جديا بتداعيات ربط اقتصاد قطاع غزة بمصر ،حيث الخشية أن تكون النتيجة أسوء من ارتباطه بإسرائيل .وعندما يصبح معبر رفح المنفذ الوحيد لقطاع غزة فستتحكم الرأسمالية والتجار والسماسرة المصريون بقطاع غزة .
4. ،وقد جربنا أسلوب التعامل ثامنا:حتى مع توفر الإرادة عند الرئيس مرسي للعمل لمصلحة الفلسطينيين فإن حدودا لا يمكن لمصر تجاوزها،فالمصالحة بمعنى إعادة توحيد غزة والضفة في سلطة وحكومة واحدة،والرفع النهائي للحصار البري والبحري والجوي على قطاع غزة،مرتبطان بمسار التسوية وبالرباعية وبأوضاع إقليمية ودولية.

وأخيرا ،إن كنا نشكر مصر شعبا ورئيسا وحكومة على كل مسعى من اجل رفع الحصار عن قطاع،غزة إلا أننا نتمنى على الرئيس مرسي أن لا ينسى أن غزة جزء من فلسطين ولكنها ليست القضية الفلسطينية، وإن كان الشعب الفلسطيني معني برفع الحصار نهائيا عن القطاع إلا أن معركتنا الأساسية الآن هي تحرير الضفة والقدس وقضية اللاجئين .

الأستاذ الدكتور / إبراهيم أبراش

Ibrahemibrach1@gmail.com